

المذهب الاعتزالي وأصوله

أهداف الدرس

1. أن أتعرف المذهب الاعتزالي وأصوله؛
2. أن أستنتج منهج المعتزلة في المناقشة والمناظرة؛
3. أن أتمثل طريقة الأشاعرة في الرد على أصول المعتزلة.

تمهيد

برزت في التاريخ الإسلامي فرق كلامية كثيرة كلها تدّعي صحة أصولها وقواعدها ومناهجها في الاعتقاد، وتقيم على ذلك فيما تعتبره براهين وأدلة، وربما لبّس بعضها على العوام بذلك، ومن تلكم الفرق الكلامية فرقة المعتزلة.

فمن هم المعتزلة؟ وما أصول مذهبهم؟

نص الانطلاق

قال القاضي عبد الجبار رحمه الله: «اعلم أن ما يلزم المكلف معرفته من أصول الدين... خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...»

وإن قيل: ولم اقتصرتم على هذه الأصول الخمسة؟ قلنا: لا خلاف أن المخالفين لنا لا يحدّون أحد هذه الأصول؛ ألا ترى أن خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبّهة قد دخل في التوحيد، وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل، وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد، وخلاف الخوارج دخل تحت المنزلّة بين المنزلتين، وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». [شرح الأصول الخمسة، ص 122].

الفهم

الشرح:

- **المعطلة:** فرقة كلامية تقول بنفي صفات الله تعالى.
 - **الدهرية:** قوم ينكرون الصانع وينسبون الأمور إلى الدهر.
 - **المجبرة:** فرقة كلامية تزعم أن الإنسان مجبر على أفعاله.
- أستخلص من النص التعريف بالمذهب الاعتزالي وأستخرج أصوله الخمسة.

التحليل

نتناول في هذا الدرس مسألتين:

المسألة الأولى: التعريف بالمذهب الاعتزالي

المذهب الاعتزالي مذهب كلامي نسبة إلى فرقة المعتزلة، التي نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في صدر العصر العباسي، وقد حكمت العقل في فهم قضايا العقيدة الإسلامية مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الجملة، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، والعدلية، والوعيدية، ويلقبون بالقدرية. قال الشهرستاني رحمه الله: «والقدرية ابتدؤوا بدعتهم في زمان الحسن البصري واعتزل واصل ابن عطاء عنهم وعن أستاذه بالقول منه بالمنزلة بين المنزلتين، فسمي هو وأصحابه معتزلة». [الملل والنحل 28/1 بتصرف].

المسألة الثانية: أصول المعتزلة

الأصل الأول: التوحيد

تعددت مذاهب علماء الكلام في مفهوم التوحيد، فذهب المعتزلة إلى القول بأن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله؛ لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذهب الأشاعرة إلى أن الله تعالى

واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له. وقد ذكر أبو الحسن الأشعري رحمه الله جملة قول المعتزلة في بيان معنى التوحيد عندهم ثم عَقَّبَ على ذلك بقوله: «... فهذه جملة قولهم في التوحيد، وقد شاركهم في هذه الجملة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيع، وإن كانوا للجملة التي يظهرونها ناقضين، ولها تاركين». [مقالات الإسلاميين، ص 156].

الأصل الثاني: العدل

العدل عند المعتزلة هو ما يقتضيه العقل من الحكمة؛ وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، وهذا على مذهبهم في القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وإيجابهم على الله فعل الصالح والأصلح، ودعواهم أن أفعاله تعالى يجب أن تكون لأغراض ومقاصد وغايات، وعند الأشاعرة هو أن الله تعالى عدل في أفعاله، متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال سعد الدين التفتازاني رحمه الله: «لا خلاف في أن الباري لا يفعل قبيحا ولا يترك واجبا، أما عندنا فلأنه لا قبح منه ولا واجب عليه لكون ذلك بالشرع، ولا يتصور في فعله، وأما عند المعتزلة فلأن كل ما هو قبيح منه فهو يتركه البتة، وما هو واجب عليه فهو يفعله البتة». [شرح المقاصد، 3/216].

الأصل الثالث: الوعد والوعيد

الوعد والوعيد عند المعتزلة هما العلم بأن كل ما وعد الله به من الثواب لمن أطاعه، وتوعد به من العقاب لمن عصاه فسيفعله لا محالة؛ لأنه لا يبدل القول لديه، ولا يجوز عليه الخلف في وعده ووعيده ولا الكذب في الإخبار به. [الأصول للجبائي، ص 50 بتصرف].

ورد عليهم الأشاعرة بأن العقاب حق لله تعالى يجوز له أخذه وتركه، لا يسأل عما يفعل، وأن المسلمين وغيرهم قد اتفقوا على حسن العفو والصفح عن عقوبة الذنب وعلى مدح من لا يُتَم ما يتوعد به، وذلك لا يوجب ذم المتوعد ولا جعل خبره كذبا، ويُرد على المعتزلة أيضا بأن الثواب فضل منه سبحانه ومنة، وليس واجبا عليه، والمعتزلة معترفون بأن ما يفعله العبد من الطاعات واجب عليه شكرا منه لله تعالى على ما أولى من مننه وأسبغ من جزيل نعمه، فكيف يستحق الثواب على ما أدى من الواجبات والجزاء على ما حتم عليه من الطاعات وأنواع العبادات؟ [تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، للباقلاني، ص 400 بتصرف].

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين

ذهب المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر، وأنه يخلد في النار، ويؤبد فيها مع جملة الكفار إذا لم يتب منها قبل الموت، واحتجوا بعمومات الوعيد كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْقُوعُهُمْ إِلَهُ﴾ [يونس: 27]، ورد عليهم الأشاعرة بأنها معارضة بعمومات الوعد؛ كقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. [الزمر: 50]. وبأن تلك العمومات مخصوصات بمن مات على الكفر من غير توبة منه، أو بمن استحل الكبائر ولم يتب. [الإنصاف للباقلاني، ص 162 بتصرف].

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف عند المعتزلة على ضربين: أحدهما واجب وهو الأمر بالفرائض إذا ضيعها المرء، والآخر نافلة وهو الأمر بالنوافل إذا تركها المرء، فأما النهي عن المنكر فكله واجب؛ لأن المنكر كله قبيح، وهذا على مذهبهم في أن المعروف ما عرفه العقل وحسنه، والمنكر ما أنكره العقل وقبحه، والمعروف عند الأشاعرة ما عرفه الشرع وهو الواجب والمندوب، والمنكر ما أنكره الشرع وهو الحرام والمكروه، فيندب الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه، ويجب الأمر بالواجب والنهي عن الحرام وجوبا كفائيا، فإذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقيين، ومن شروطه: أن يعلم المتولي لذلك بأن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر، وأن لا يؤدي ذلك إلى الفتنة لأن الفتنة أشد ضررا من ترك الأمر بالمعروف، وأن يظن قبوله وتأثيره لئلا يكون عبثا واشتغالا بما لا يعني. [شرح المقاصد 410/3 بتصرف].

التقويم

1. أعرف بالمذهب الاعتزالي ومنهجه في العقيدة.

3. ما المراد بالتوحيد والعدل عند المعتزلة؟

الاستثمار

قال أبو المظفر الأسفراييني رحمه الله: «... ثم ظهر بعدهم (القدرية) في زمان الحسن البصري بالبصرة خلاف واصل ابن عطاء الغزال في القدر، وفي القول بمنزلة بين المنزلتين، ووافقه عمرو بن عبيد فيما أحدثه من البدعة، فطردهم الحسن البصري من مجلسه، فاعتزلوه بأتباعهم جانباً من المسجد فسموا معتزلة لا اعتزالهم مجالس المسلمين، وقولهم بمنزلة بين المنزلتين، وزعمهم أن الفاسق المَلِي لا مؤمن ولا كافر، وأن الفاسق من أهل الملة، خرجوا من الإيمان ولم يبلغوا الكفر، وأنهم مع الكفار في النار خالدين مخلدين، لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة». [التبصير في الدين، ص 21].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أعرف بالأعلام الواردة في النص.
2. لماذا قال المعتزلة بتخليد الفاسق في النار؟

الإعداد القبلي

أستعين بمكتسباتي في الدروس السابقة وأتعاون مع أصدقائي في القسم لأجيب عن أسئلة أنشطة الدرس القادم.